

إعجاز النظم القرآني  
شواهد ودلالات



د. محمد يحيى سعد آل منشط  
أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد - جامعة نجران  
المملكة العربية السعودية

المستخلص:  
يبحث هذا البحث في إعجاز النظم القرآني، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلو شأنه وأجمعين، أما بعد:  
فهذا البحث الذي هو بعنوان: "إعجاز النظم القرآني، شواهد ودلالات" يجيب على عدة أسئلة، منها:

## إعجاز النظم القرآني: شواهد ودلالات

- ١- ما هو القدر المعجز من القرآن الكريم؟
  - ٢- هل إعجاز القرآن الكريم مقتصر على تراكيبه فقط؟
  - ٣- وما موقع اللفظة القرآنية والفاصلة القرآنية من الإعجاز؟
- كما أن هذا البحث يهدف إلى الكشف عن وجه من أوجه إعجاز القرآن الكريم المتمثل في إعجاز النظم القرآني، كما أنه يبرز بعض النماذج التي ذكرها العلماء الكاشفة عن إعجاز النظم القرآني، وتدعو إلى تدبر القرآن وتأمله، والتي تُسهم في الوصول إلى تدبر القرآن الكريم، ومعرفة بعض أسراره، والوقوف على جوهر الإعجاز فيه.

وقد قدمت لهذا البحث بمقدمة اشتملت على أهمية البحث وأهدافه وخطته، معتمداً في منهج البحث على المنهج الاستقرائي الوصفي التحليلي، وقد ابتدأت البحث بتعريف المصطلحات التي لها تعلق بالبحث، ثم عقدت مبحثاً خاصاً لبيان مفهوم النظم في اللغة والاصطلاح، مع بيان أنواع النظم عند العرب وموقع النظم القرآني منها. ثم بينت في المبحث الثاني أنواع الإعجاز في نظم القرآن، وقد جاء الحديث فيه عن الإعجاز في نظم الحروف، والإعجاز في الكلمات القرآنية، والإعجاز في الفاصلة القرآنية، مدعماً كل موضوع من هذه الموضوعات بالشواهد والدلالات. ثم ختمت البحث بخاتمة ضمنتها أهم النتائج، وهي:

- ١- أن القول الذي ينبغي اعتماده في الوجه البياني المعجز للقرآن الكريم هو "النظم"، وتحت هذا الوجه يدخل كثير من الأقوال التي قيلت في الوجه البياني.

أن الثمرة فيما سبق من تقرير الوجه البياني المعجز تظهر في تطبيق ذلك

- ٢- هذا والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن يكتب لنا التوفيق لك على آيات القرآن الكريم، وقد تم في البحث ذكر نماذج رائعة عن أئمة هذا العلم، وفي تدبرها وتدبر أمثالها ما يدعو إلى تذوق حلاوة القرآن.

- ٣- أن إعجاز النظم القرآني من أعظم أوجه الإعجاز التي يمكن الرد بها على الطاعنين في القرآن الكريم.

ثم قمت بعمل فهارس لخدمة البحث. والسداد في الدنيا والآخرة، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

### المقدمة:

الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً، الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء



٥١٤٣٦، وهذا الكتاب يختلف تماماً، وبعيد تمام البعد عن موضوع بحثي كما يتضح من عنوانه.

ومما ينبغي الإشارة إليه أنّ هناك مجموعة من الكتب والأبحاث قد تحدثت عن الإعجاز القرآني عموماً وعن الإعجاز البياني على وجه الخصوص، إلا أن نصيب إعجاز النظم القرآني الذي هو أحد أنواع الإعجاز البياني لم يكن ظاهراً بالصورة التي ظهرت في هذا البحث، فهذه الكتب قد جاء التركيز فيها على بيان معنى النظم وما يتعلق به من مسائل دون التركيز على بيان القدر المعجز في النظم القرآني وتجليته بصورة واضحة مفردة.

### منهج البحث:

المنهج المتبع في البحث هو (المنهج الاستقرائي الوصفي التحليلي).

### منهج الباحث :

تتمثل أهم مفردات وخطوات البحث في الآتي:

- ١- الوقوف على أوجه الإعجاز في نظم القرآن وبيانها لإبراز صورة واضحة عن القدر المعجز فيها.
- ٢- إيراد بعض النماذج في إعجاز النظم القرآني.
- ٣- الاعتماد في كتابة الآيات على الرسم العثماني برواية حفص عن عاصم مع بيان أرقامها، وعزوها إلى سورها.
- ٤- تخريج الأحاديث من مصادرها من كتب السنة، تخريجاً موجزاً.
- ٥- عدم الترجمة للأعلام الواردة في البحث، خشية الإطالة.
- ٦- المعوّل عليه في معرفة طبقات المصادر والمراجع هو الفهرس الخاص بذلك في آخر البحث .
- ٧- الخاتمة وتشتمل على أبرز النتائج والتوصيات.

### خطة البحث :

يتكون البحث من مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، وفهارس.

**المقدمة:** وتشتمل على أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهداف البحث،

والمنهج المتبع في البحث.

**التمهيد :** ويتضمن التعريف بالمصطلحات التي لها ارتباط بعنوان البحث.

أولاً: مفهوم الإعجاز البياني.

ثانياً: معنى الفصاحة.

ثالثاً: معنى البلاغة.

**المبحث الأول : ( الدراسة النظرية ) مفهوم النظم القرآني، وفيه أربعة مطالب:**

المطلب الأول: تعريف النظم لغة واصطلاحاً.



أولاً: تعريف الإعجاز البياني .

الإعجاز البياني مرکّب من لفظين "الإعجاز" و "البيان" .

الأول : الإعجاز:

١- معنى الإعجاز لغة: لفظ إعجاز يدور على معنى الضعف وعدم القدرة، والقعود عما يجب فعله.

فالإعجاز مصدر الفعل الماضي الرباعي أعجز، وأصل الكلمة ، عَجَزَ، وَعَجُزَ الإنسان مؤخرته، والعجز أصله التأخر عن الشيء، وصار في التعارف اسماً للقصور عن فعل الشيء، وهو ضد القدرة، تقول : أعجزت فلاناً وعجزته، وعجزته: جعلته عاجزاً. والمعجزة<sup>(١)</sup>، بفتح الحيم وكسرهما، مَفْعَلَةٌ من العَجَز: وهو عَدَمُ الْقُدْرَةِ<sup>(٢)</sup>

وعليه فالإعجاز: هو جعل من يقع عليه أمر التحدي بالشيء عاجزاً عن الإتيان به، ونسبته إلى العجز، وإثباته له، فالإعجاز بالنسبة للمعجز هو الفوت والسبق، يقال: أعجزني فلان أي: فاتني، وبالنسبة للعاجز عدم القدرة على الطلب والإدراك، وقال الليث: أعجزني فلان إذا عجزت عن طلبه وإدراكه.<sup>(٣)</sup>

٢- الإعجاز في الاصطلاح:

عرّفه الجرجاني بقوله "الإعجاز في الكلام هو أن يؤدي المعنى بطريق هو أبلغ من جميع ما عداه من الطرق."<sup>(٤)</sup>

ويرى الرافعي أن الإعجاز شينان : أحدهما: ضعف القدرة الإنسانية في محاولة المعجزة ومزاولته على شدة الإنسان واتصال عنايته، وثانيهما: استمرار هذا الضعف على تراخي هذا الزمن وتقدمه.<sup>(٥)</sup>

ويمكن أن يقال أيضاً إن إعجاز القرآن هو إثبات القرآن عجز الخلق عن الإتيان بما تحداهم به، وهو أن يأتوا بمثله أو بشيء من مثله.

ويكتمل بيان المراد بهذا المصطلح إذا عرفنا أن إعجاز القرآن من تحداهم عن الإتيان بمثله أو بشيء من مثله ليس أمراً مقصوداً لذاته، وليس هو الغاية في نفسه، ولكن المقصود هو اللزوم الناتج عن هذا الإعجاز، وهو إظهار وإثبات أن هذا الكتاب

(١) المعجزة في الاصطلاح: "المعجزة أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة" الإتيان في علوم القرآن (٣/٤) وقريباً منه في مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني (١/٧٣).

(٢) انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٣/٨٨٣)، المفردات في غريب القرآن للراغب (ص: ٥٤٧) لسان العرب (٥/٣٦٩)، معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤/٢٣٣).

(٣) لسان العرب (٥/٣٧٠). مادة "عجز".

(٤) التعريفات للجرجاني (ص: ٣١).

(٥) انظر: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعي (ص: ١١٤).

حق، ووحى من عند الله تعالى، ومقتضى ذلك كله إثبات صدق الرسول صلى الله عليه وسلم فيما جاء به قومه من الرسالة، ودعاهم إليه من الإسلام<sup>(١)</sup>

الثاني: البياني:

١ - معنى البياني لغة: نسبة إلى البيان، والبيان في اللغة: الفصاحة واللسان، وفلان أبيض من فلان، أي أفصح منه وأوضح كلاماً.<sup>(٢)</sup>

٢ - معنى البياني اصطلاحاً: إظهار المعنى بأبلغ لفظ وأفصح، وليس المقصود به علم البيان الذي هو أحد أقسام البلاغة التي اصطلح عليها مؤخرًا.<sup>(٣)</sup>

ومن العلماء من يرى أن البيان والبلاغة مترادفان، فيعبر عن الإعجاز البياني بالإعجاز البلاغي.<sup>(٤)</sup> وأما تعريف الإعجاز البياني بمفهومه المركب فيمكن أن نعرفه بما يلي:

إثبات عجز الإنس والجن بالتحدي على الإتيان بمثل القرآن في بيانه، لقصد إظهار صدق الرسول صلى الله عليه وسلم في دعواه.<sup>(٥)</sup>

وقيل معناه: عجز الناس عن أن يأتوا بمثل القرآن الكريم لأنه دلّ بما فيه من بيان على أنه من عند الله.<sup>(٦)</sup>

وعُرف أيضاً بما يلي: عدم قدرة الكافرين على معارضة القرآن، وقصورهم عن الإتيان بمثله، رغم توفر ملكتهم البيانية، وقيام الداعي على ذلك، وهو استمرار تحديهم، وتقرير عجزهم عن ذلك.<sup>(٧)</sup>

ولعل التعريف الأول هو الأولي لشموله واختصاره، أما التعريف الثاني فقد حصر الإعجاز على الناس، فلو كانت العبارة أعم لكان أولى، وأما التعريف الأخير فقد قصر الإعجاز على الكافرين، فلو ترك لفظة "الكافرين" واستبدلها بلفظة أعم لكان أحكم، والله تعالى أعلم.

(١) عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم محمد السيد راضي (ص: ٢٤٥).

(٢) انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري (٥/ ٢٠٨٢)، معجم مقاييس اللغة لابن فارس (١/ ٣٢٨).

(٣) انظر: الإعجاز البياني في القرآن الكريم، عمار ساسي (١/ ١٢٧).

(٤) ومن سماه بهذه التسمية الشيخ محمد أبو زهرة في كتابه "المعزة الكبرى" انظر (ص: ٩٧). يقول عمار ساسي: ولكن الراجح في نظرنا وبناءً على المدلول اللغوي والقرآني أن البيان أشمل وأوسع دلالة ومعنى من البلاغ والبلاغة وأنهما ليسا مترادفين. الإعجاز البياني في القرآن الكريم (١/ ١٥٨).

(٥) نظر: الإعجاز البياني في القرآن الكريم، عمار ساسي (١/ ١٢٧).

(٦) انظر: إعجاز القرآن المجيد للدكتور: فضل عباس (ص: ١٧).

(٧) انظر: إعجاز القرآن البياني، ودلائل مصدره الرباني، صلاح الخالدي (ص: ١٧).

١- معنى الفصاحة لغة: الظهور والبيان، أفصح الصُّبح، إذا بدا ضوءه، وتقول: لسانٌ فصيحٌ أي

طَلِقٌ، طُتْ دُجُو و و و و ي ي [القصص: ٣٤] والفصيح في اللغة:

المنطلق للسان في القول الذي يعرف جيد الكلام من رديئه. (١)

٢- معنى الفصاحة اصطلاحاً:

قيل أنها "خلوص الكلام من التعقيد". (٢)

وقيل "هي في المفرد: خلوصه من تنافر الحروف والغرابية ومخالفة القياس،

وفي الكلام: خلوصه من ضعف التأليف وتنافر الكلمات مع فصاحتها". (٣)

ثالثاً: تعريف البلاغة:

١- معنى البلاغة لغة:

مأخوذ من الوصول إلي الشيء، تقول: بلغت المكان بلوغاً: وصلت إليه،

وكذلك إذا شارفت عليه. ومنه قوله تعالى: جِئْ بِحِجَابٍ مُّطَهَّرٍ [الطلاق: ٢] أي: قاربته. (٤)

٢- معنى البلاغة اصطلاحاً:

البلاغة في الكلام: إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ. (٥)

وقيل: أن يبلغ به المتكلم ما يريد من نفس السامع بإصابة موضع الاقتناع من

العقل والوجدان من القلب. (٦)

وقيل: ملكة في المتكلم يقدر بها إلى تأليف كلام بليغ. (٧)

ونجد أن تعاريف البلاغة تدور معظمها حول إيصال المعنى إلى المخاطب

بعبارة موجزة محكمة، مع مراعاة حال المتلقي للوصول إلى موضع الإقناع والتأثير

في نفسه. (٨)

وبناءً على ما سبق يمكن التفريق بين الفصاحة والبلاغة بأن الفصاحة

مقصورة على وصف الألفاظ والبلاغة لا تكون إلا وصفاً للألفاظ مع المعاني لا يقال

(١) انظر: لسان العرب (٢/ ٥٤٤)، معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤/ ٥٠٧)، سر الفصاحة للخفاجي (ص: ٥٨).

(٢) الفوائد المشوق، لابن القيم، (ص: ٩).

(٣) التعريفات للجرجاني (ص: ١٦٧).

(٤) انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٤/ ١٣١٦)، معجم مقاييس اللغة لابن فارس (١/ ٣٠١).

(٥) انظر: الفوائد المشوق، لابن القيم، (ص: ٩).

(٦) مباحث في إعجاز القرآن، مصطفى مسلم (ص: ٩٣).

(٧) التعريفات للجرجاني (ص: ٤٦).

(٨) انظر: مباحث في إعجاز القرآن، مصطفى مسلم (ص: ٩٤).

في كلمة واحدة لا تدل على معنى يفضل عن مثلها بليغة وإن قيل فيها فصيحة وكل كلام بليغ فصيح وليس كل فصيح بليغا كالذي يقع فيه الإسهاب في غير موضعه<sup>(١)</sup> كما أن البيان هو إظهار للمقصود بأبلغ لفظ وأفصح، وليس هو البلاغة ولا الفصاحة.

## المبحث الأول

### مفهوم النظم القرآني

**المطلب الأول: تعريف النظم لغة واصطلاحاً:**

**أولاً: النظم في اللغة:**

النون والظاء والميم: أصل يدل على تأليف شيء. تقول: نظمت اللؤلؤ، أي جمعته في السلك، والتنظيم مثله. ومنه نظمت الشعر ونظمته. وهو في الأصل مصدر، والانتظام: الاتساق. وبالنظر في معاجم اللغة نجد أن معاني النظم تدور حول التأليف، والجمع، والضم، والاتساق.<sup>(٢)</sup>

ويمكن أن نخلص إلى نتيجة من مجموع ما قاله أهل اللغة في تعريف النظم، وهي أن كلمة "نظم" كانت تستعمل في الأمور المادية المحسوسة كنظم اللؤلؤ في السلك، ثم استعملت هذه الكلمة في الأمور المعنوية كنظم الكلام، ونظم الشعر. وعندئذ يكون المعنى اللغوي المشترك هو: "ضم الأشياء بعضها إلى بعض، مع ترتيبها وتنسيقها، وتهذيبها، سواء كانت مادية أو معنوية.

**ثانياً: النظم في الاصطلاح<sup>(٣)</sup>:**

لم تتضح فكرة النظم كمصطلحاً إلا بعد نزول القرآن، بل عندما بدأ التأليف في وجوه إعجازه حيث أثبتت فكرة النظم كأحد وجوه الإعجاز رغم الخلاف عما إذا كان نظم القرآن هو من جنس نظمهم، أم إنه نسيجٌ وحده، وكان أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ هو أول من أشار إلى هذا المصطلح، قال: "وفي كتابنا المنزّل ما يدلنا على أنه صدق، نظمه البديع الذي لا يُفدّر على مثله العباد، مع ماسوى ذلك من الدلائل التي جاء بها"<sup>(٤)</sup>.

**أما ما يتعلق بتعريف النظم في الاصطلاح، فقد عرفه العلماء بعدة تعريفات منها قولهم: تأليف الكلمات والجمل مترتبة المعاني متناسبة الدلالات على حسب ما يقتضيه**

(١) انظر: سر الفصاحة للخفاجي (ص: ٥٩).

(٢) انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٥/ ٢٠٤١) معجم مقاييس اللغة (٥/ ٤٤٣).

(٣) تعددت إطلاقات العلماء على مصطلح "النظم"، فبعضهم يطلق عليه "النظم" كالجاحظ، والباقلاني والخطابي وغيرهم، وبعضهم يطلق عليه "الضم" كالفاضي عبد الجبار، وبعضهم يطلق عليه "التلازم" كالرّماني.

(٤) الحيوان (٤/ ٣٠٥)

وقيل: الألفاظ المترتبة المسوقة المعتمدة دلالاتها على ما يقتضيه العقل<sup>(١)</sup>

وقيل: هو ترتيب الألفاظ في النطق حسب ترتيب المعاني في النفس.<sup>(٢)</sup>

ويمكن أن نخلص إلى أن المراد من نظم الكلام هو:

اتساق أجزائه من الحروف والكلمات والجمل، وائتلافها، وتناسبها بمنتهى الدقة والإحكام،<sup>(٣)</sup> بحيث لو أبدل مكان الكلمة غيرها، لتبدل المعنى، وسقطت البلاغة.<sup>(٤)</sup>

وبناءً على ذلك فلا بد من تماسك الحروف وتناسقها في الكلمة، وتماسك الكلمة في الجملة بإحكام ودقة، وائتلافها جميعاً للوصول إلى أعلى قدر من البيان والفصاحة.

**المطلب الثاني: تعريف القرآن لغة واصطلاحاً.**

**أولاً: تعريف القرآن في اللغة:**

القرآن في اللغة مصدر قرأ بمعنى تلا، أو بمعنى جمع والضم، فعلى المعنى الأول يكون مصدراً بمعنى اسم المفعول؛ أي: بمعنى متلو. وعلى المعنى الثاني: يكون مصدراً بمعنى اسم الفاعل؛ أي بمعنى جامع لجمعه الأخبار والأحكام.<sup>(٥)</sup> ويمكن أن يكون بمعنى اسم المفعول أيضاً، أي: بمعنى مجموع؛ لأنه جمع في المصاحف والصدور.<sup>(٦)</sup>

**ثانياً: تعريف القرآن في الاصطلاح:**

"القرآن هو كلام الله تعالى، المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم المنقول عنه بالتواتر المتعبد بتلاوته"<sup>(٧)</sup>.

**شرح مفردات التعريف:**

"كلام الله" عموم يشمل جميع كلامه سبحانه، فيدخل فيه كلامه للملائكة، ولغيرهم، وخرج بـ "المنزل" ما لم يُنزل من كلامه لأهل السماء، ويدخل فيه كلامه

(١) التعريفات (ص: ٢٤٢)

(٢) نصّ على هذا التعريف الدكتور فضل حسن عباس، وقال: هذا هو النظم الذي عناه عبد القادر، انظر: إعجاز القرآن المجيد (ص: ٢٦١). فالنظم عند الجرجاني: هو ترتيب المعاني في النفس أولاً، ثم تأتي الألفاظ لتستوعب هذه المعاني. كما أنه قيّد النظم بأنه لا بد أن يخضع لقواعد النحو وأصوله. انظر: دلائل الإعجاز للجرجاني (١/ ٣٦١)،

(٣) أسرار إعجاز القرآن، للأستاذ الدكتور جمال مصطفى النجار (ص: ١٣٥).

(٤) انظر: من بلاغة النظم العربي، للدكتور عبد العزيز عبد المعطي (٧/١).

(٥) انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (١/ ٦٥)، تاج العروس (١/ ٣٦٣).

(٦) انظر: أصول في التفسير (ص: ٦).

(٧) انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن (١/ ٢٠)، النبأ العظيم (ص: ٤٣).

المنزل على عموم انبيائه. وخرج بقوله "على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم" ما نزل على غيره من الأنبياء، ويدخل فيه ما نزل عليه من كلام الله كالحديث القدسي، وخرج بقوله: "المنقول عنه بالتواتر المتعبد بتلاوته" الحديث القدسي، وغيره من الكلام المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم سوى القرآن<sup>(١)</sup>

**المطلب الثالث: المراد بالنظم القرآني.**

**المراد بنظم القرآن** هو: تأليف حروفه وكلماته، وجمله، بطريقة هي غاية في التناسق والتناسب، وبمنتهى الدقة والإحكام، لتؤدي المعنى المراد، على أبلغ ما يكون التعبير، وأجمل ما يكون التصوير<sup>(٢)</sup>

**ومما ينبغي الإشارة إليه** أن هناك فرق بين النظم والأسلوب في القرآن، وذلك أن دائرة الأسلوب أوسع وأشمل فلا يدرك الأسلوب بالجملة الواحدة، بينما النظم يمكن إدراكه في الجملة الواحدة، بل وفي الكلمة الواحدة<sup>(٣)</sup>

كما أن هناك فرقاً بين النظم والنظام في القرآن، فعلماء علوم القرآن يطلقون لفظ "النظام" ويقصدون به ارتباط أي القرآن بعضها ببعض، حتى تكون الكلمة الواحدة، متسقة المعاني، منتظمة المباني، فالنظام يطلق في الغالب على مناسبات الآيات والسور<sup>(٤)</sup>.

ومما سبق يمكن أنه نعرف "إعجاز النظم القرآني" بأنه: مجيء القرآن الكريم بنظم يعجز الخلق عن الإتيان بمثله .

#### **المطلب الرابع: أنواع النظم عند العرب وموقع النظم القرآني منها.**

كان يُطلق اسم النظم عند العرب على الشعر خاصة وعلى السجع أحياناً تمييزاً لهما عن الكلام المرسل، فيقال: كلام منظوم وغيره مرسل؛ وذلك لاختصاص الشعر والسجع بطريقة تركيب خاصة هي التقسيم إلى شطرات وأبيات وقرائن ذات أوزان وقوافٍ وفق محور الشعر كما هو معروف في علم العروض..

فالناظر في لغة العرب يرى أن كلامهم لا يخلو من أن يكون نظماً أو نثراً ، وللنظم أعاريض، وأوزان محددة معروفة، وللنثر طرائق من السجع والإرسال وغيرها، فإما شعر موزون، وإما كلام موزون غير مقفى، وإما كلام معدل مسجع، وإما كلام معدل غير مسجع، وإما مرسل إرسالاً، خالياً من الوزن، والقافية،

(١) انظر: المحرر في علوم القرآن (ص: ٢٢).

(٢) أسرار إعجاز القرآن، للأستاذ الدكتور جمال مصطفى النجار (ص: ١٣٥). ويقول الجرجاني عند تعريف النظم: هي العبارات التي تشتمل عليها المصاحف صيغة ولغة. التعريفات (ص: ٢٤١).

(٣) مباحث في إعجاز القرآن، مصطفى مسلم (ص: ١٠٨).

(٤) انظر: البرهان في علوم القرآن (١/ ٣٦)، أسرار ترتيب القرآن (ص: ٤)، الإتيان في علوم القرآن (٣/ ٣٦٩).

وأما نظم القرآن فهو نظم بديع مخالف لكل نظم معهود في لسان العرب وغيرها، يقوم في طريقته التعبيرية على أساس مبادئ للمألوف من طرائقهم، فالقرآن ليس من أعاريض الشعر في رجزه ولا في قصيده، وليس على سنن النثر المعروف في إرساله ولا تسجيعة، إذ هو لا يلتزم الموازين المعهودة في هذا ولا ذلك، فنظمه خاصٌ ومتميز ومتخلص عن النظير.

يقول الباقلائي - رحمه الله - عن بديع نظم القرآن: "إنه بديع النظم عجيب

التأليف، متناه في البلاغة إلى الحد الذي يعلم عجز الخلق عنه" إلى أن يقول: "فالذي يشتمل عليه بديع نظمه المتضمن للإعجاز وجوه: منها ما يرجع إلى الجملة، وذلك أن نظم القرآن على تصرف وجوهه، وتباين مذاهبه خارج عن المعهود من نظام جميع كلامهم، ومباين للمألوف من ترتيب خطابهم، وله أسلوب يختص به، ويتميز في تصرفه عن أساليب الكلام المعتاد"<sup>(٢)</sup>.

ويقول القرطبي - رحمه الله - : "ووجوه إعجاز القرآن الكريم عشرة منها:

النظم البديع المخالف لكل نظم معهود في لسان العرب وفي غيرها"<sup>(٣)</sup>. وهكذا إذا تأملنا نظم القرآن نجد أنه خارج عن أصناف كلام العرب، وأساليب خطابهم، وطرائق محادثاتهم، يقول جلال الدين السيوطي - رحمه الله -: "من وجوه إعجاز هُسن تأليفه، والتنام كلمه، فصاحتها، ووجوه إيجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب الذين هم فرسان الكلام، وأرباب هذا الشأن، فجاء نطقه العجيب، وأسلوبه الغريب مخالفاً لأساليب كلام العرب ومنهاج نظمها ونثرها الذي جاءت عليه، ووقفت عليه مقاطع آياته، وانتهت إليه فواصل كلماته، ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له"<sup>(٤)</sup>. وهذا يتضح جلياً إذا قرأت بضع آيات منه، فإنك تشعر بتوقيع موزون ينبعث من تتابع آياته، بل يسري في صياغته، وتآلف كلماته، وتجد في تركيب حروفه تنسيقاً عجيباً، وذلك في كل جوانب كتاب الله تعالى ومختلف سورته، فمن أجل ذلك تحير العرب في أمره إذ عرضه على موازين الشعر فوجدوه غير خاضع لأحكامه، وقارنوه بفنون النثر فوجدوه غير لاحق بالمعهود من طرائقه، فكان أن انتهى الكافرون منهم إلى أنه سحر، واستيقن المنصفون منهم بأنه تنزيل من رب العالمين.

(١) انظر: إعجاز القرآن للباقلاني (ص: ٣٥)، أسرار إعجاز القرآن، للأستاذ الدكتور جمال مصطفى النجار (ص: ١٣٥).

(٢) إعجاز القرآن للباقلاني (ص: ٦٩).

(٣) تفسير القرطبي (١/ ٧٣).

(٤) معترك الأقران في إعجاز القرآن (١/ ٢٣).

فنظم القرآن الكريم قد أبهر أساطين البيان والبلاغة، فأيقن المنصفون أنه كلام له نطاق وكيان خاص، فهذا عتبة بن أبي ربيعة حينما سمع القرآن الكريم من النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "والله، لقد سمعت قولاً ما سمعت مثله قط، والله، ما هو بالشعر ولا السحر ولا الكهانة... فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبياً" (٢)

وهكذا نجد أن النظم القرآني بهر العرب بحسن مبادئ الآي والمقاطع، وتماسك الكلمات واتساقها في التراكيب، وقد تأملوها آية آية، وعُشراً عُشراً، وسورة سورة فلم يجدوا في الجميع كلمة ينبو بها مكانها، ولقطة يُنكر شأنها أو يُرى غيرها أصلح منها، بل وجدوا اتساقاً بهر العقول وأعجز أهل الحكم والبلاغات، ونظاماً والتئاماً وإتقاناً وإحكاماً لم يدع في نفس واحد منهم موضع طمع، حتى خرست الألسن أن تدعي وتتقول. (٣)

ومجيء النظم القرآني على هذا الشكل من الإتقان والإحكام إنما يعود - كما يقول ابن عطية- إلى أن الله تعالى قد أحاط بكل شيء علماً، وأحاط بالكلام كله علماً، فإذا ترتبت اللفظة من القرآن علم بإحاطته أي: لفظة تصلح أن تلي الأولى، وتبين المعنى بعد المعنى، ثم كذلك من أول القرآن إلى آخره، والبشر معهم الجهل، والنسيان، والذهول، ومعلوم ضرورة أن بشراً لم يكن قط محيطاً، فبهذا جاء نظم القرآن في الغاية القصوى من الفصاحة (٤)

وبهذا يتضح لنا أن نظم القرآن الكريم خارج عن المعهود من نظم العرب في كلامها وأشعارها، وهو ما جعلهم يقفون حائرين أمام نظم القرآن الفريد، الذي مادته من صلب كلامهم، أما نظمه ووقعه وتأثيره فخارج عن مقدور جميع البشر.

وسوف نبين في المباحث القادمة - بإذن الله تعالى - كيف كان نظم القرآن الكريم في حروفه وكلماته متميزاً عن غيره، إلى الحد الذي صار به معجزاً؟

### المبحث الثالث

#### أنواع الإعجاز بالنظم القرآني

من يمعن النظر في النظم القرآني يجد أنه معجز بحروفه وكلماته وعباراته، وليس الإعجاز فيه قاصراً على نوع دون آخر، بل هو مشتمل على الأنواع كلها

(١) انظر: الإعجاز في نظم القرآن، للدكتور محمد السيد شيخون (ص: ٩٨، ٩٩).

(٢) انظر: الاعتقاد للبيهقي (ص: ٢٦٧).

(٣) مباحث في إعجاز القرآن، مصطفى مسلم (ص: ١٠٩).

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية (١/ ٥٢).

بصورة بديعة محكمة، وهذا الإحكام هو الذي جعل العرب متحيرين وعاجزين عن معارضته.

فالإعجاز في نظم القرآن الكريم لم يقتصر على الجمل فحسب، ولا على الكلمات فقط، بل تعدى ذلك إلى كونه معجزاً بحروفه كذلك، وهذه الدقة والإحكام سواء في حروفه أو كلماته أو جملة هي ما جعلت نمطه بديعاً وطراره فريداً، وبناءه متيناً، فحارت ألباب الناس، وعجزت خطاهم فما وجدوا إلى معارضته سبيلاً. يقول محمد عبد الله دراز: "هل عرفت أن نظم القرآن الكريم يجمع إلى الجمال عزة وغرابة؟ وهل عرفت أن هذا الجمال كان قوة إلهية حفظ بها القرآن من الفقد والضياع؟"

إلى أن يقول: "ولا ريب أن أول ما تلاحظه هذه المناعة في رصفحروفه وكلماته، وجملة وآياته، في نظام له سمت وحده، وطابع خاص به، خرج فيه عن هيئة كل نظم تعاطاه الناس أو يتعاطونه"<sup>(١)</sup> وبهذا يظهر لنا أن إعجاز النظم القرآني يعود إلى حروفه وكلماته وجملة، يقول الراجعي رحمه الله: الكلام يتركب من ثلاثة: حروف وهي من الأصوات وكلمات هي من الحروف وجملة هي من الكلم، وقد رأينا سر الإعجاز في نظم القرآن يتناول هذه كلها؛ بحيث خرجت من جميعها تلك الطريقة المعجزة التي قامت به؛ أي أن القرآن معجزٌ في حروفه في كلماته في جملة، فبالتالي هو معجز في نظمه ككل"<sup>(٢)</sup>

وبعد هذه التوطئة يمكن لنا أن نبين أوجه الإعجاز في النظم القرآني والذي يرجع إلى حروفه وكلماته وجملة، من خلال المطالب التالية.

### المطلب الأول: الإعجاز في نظم الحروف:

للقرآن الكريم نظم بديع في حروفه، وطريقة فريدة في تأليفها، فالحرف الواحد من القرآن معجز في موضعه، بصورة محكمة، ولكل حرف تكييفاً صوتياً تعرفه العرب من قبل، فقد كانوا يترسلون في منطقتهم كيفما اتفق لهم، دون تكييف الحروف التي هي مادة الصوت، فلما قرئ عليهم القرآن، رأوا حروفه في كلماته، وكلماته في جملته، ألقاناً لغوية رائعة؛ كأنها لا تتلافها وتناسبها قطعة واحدة، قراءتها هي توقيعها فلم يفهم هذا المعنى، وأنه أمرٌ لا قبل لهم به، وكان ذلك أبين في عجزهم"<sup>(٣)</sup> فحروف كل كلمة في القرآن الكريم منتظمة انتظاماً متآلفاً، في الحركات

(١) النبي العظيم (ص: ١٣٦، ١٣٧).

(٢) انظر: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية للراجعي (ص: ١٤٨).

(٣) انظر: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية للراجعي (ص: ١٤٨).

والسكنات، والمدّات والغنات، والاتصالات والسكنات، فلو حاول أي أحد أن يدخل عليه شيئاً من كلام الناس السابقين منهم أو اللاحقين، أو أن ينزع حرفاً واحداً من مكانه، لأفسد بذلك مزاجه في فهم كل قارئ، ولجعل نظامه يضطرب في أذن كل سامع.

فالأذن العربية أول شيء أحسنه في نظم القرآن هو ذلك النظام الصوتي البديع ، الذي ينشط له السامع، ويجد له هزة لم يجدها في شعر ولا في غيره، ورزعت في تضاعيفه حروف المد والغنة توزيعاً بالقسط الذي يساعد على ترجيع الصوت به وتهادي النفس به آنأ بعد أن، إلى أن يصل إلى الفاصلة الأخرى فيجد عندها راحتها العظمى، وهذا النحو من التنظيم الصوتي إن كانت العرب قد عمدت إلى شيء منه في أشعارها فذهبت فيها إلى حد الإسراف في الاستهواء، ثم إلى حد الإملال في التكرير. فإنها ما كانت تعهده قط، ولا كان يتهيأ لها بتلك السهولة في منثور كلامها، سواء منه المرسل والمسجوع؛ بل كان يقع لها في أجود نثرها عيوب تغض من سلاسة تركيبه، ولا يمكن معها إجادة ترتيله إلا بإدخال شيء عليه، أو حذف شيء منه<sup>(١)</sup>

ولهذا أدرك العرب ذلك منذ نزول القرآن، حيث وجدوا أن نظمه لا يجري على المعهود عندهم من ترانيم الأشعار، وأنغامها المختلفة، ولذا نجد أن الوليد بن المغيرة حينما طلب منه أبو جهل أن يقول في القرآن شيئاً، قال: وماذا أقول «فوالله، ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجز ولا بقصيدة مني ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، ووالله إن لقوله الذي يقول حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله، وإنه ليعلو وما يعلى، وإنه ليحطم ما تحته»<sup>(٢)</sup> فإذا كان العربي القح - الذي نشأ في جيل كانوا هم فيه سادة الدنيا في البيان، وأرباب الفصاحة والبلاغة في وقتهم - قد انبهر بما سمع من القرآن الكريم، فهذا أعظم شاهد على أن القرآن الكريم بنظمه وتآلفه قد خرج عن المألوف من أساليب العرب ونظمها، ووصل إلى مرحلة من الإعجاز لم تستطع الألسن إلا أن تدعن أو تكابرن.

ويوصف محمد عبد الله دراز رصف حروف القرآن وتآليفها من مجموعات مؤتلفة مختلفة بقوله: "فإذا ما اقتربت بأذنك قليلاً قليلاً، فطرقت سمعك جواهر حروفه

(١) انظر: النبا العظيم (ص: ١٣٤).

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه على الصحيحين (٢/ ٥٥٠)، في كتاب "التفسير"، في باب "تفسير سورة المدثر بسم الله الرحمن الرحيم"، برقم (٣٥٧٢)، من طريق عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن الوليد بن المغيرة قال الحاكم: "هذا حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري ولم يخرجاه". وصححه الشيخ الألباني في صحيح السيرة النبوية (١/ ١٥٨). فالأثر - والله أعلم - صحيح.

### إعجاز النظم القرآني: شواهد ودلالات

خارجة من مخارجها الصحيحة، فاجأتك منه لذة أخرى في نظم تلك الحروف ورففها وترتيب أوضاعها فيما بينها؛ هذا ينقر وذاك يصفر، وثالث يهمس ورابع يجهر، وآخر ينزلق عليه النفس، وآخر يحتبس عنده النفس. وهلم جرا، فترى الجمال اللغوي ماثلاً أمامك في مجموعة مختلفة مؤتلفة، لا كركرة ولا ثرثرة، ولا رخاوة ولا معازلة، ولا تناكر ولا تنافر. وهكذا ترى كلاماً ليس بالحضري الفاتر، ولا بالبديوي الخشن، بل تراه وقد امتزجت فيه جزالة البادية وفخامتها برقة الحاضرة وسلاستها، وقدر فيها الأمر تقديرًا لا يبغي بعضهما على بعض. فإذا مزيج منهما كأنما هو عصاره اللغتين وسلاستهما، أو كأنما هو نقطة الاتصال بين القبائل، عندها تلتقي أدواقهم، وعليها تأتلف قلوبهم<sup>(١)</sup>.

وعليه فإن الحرف الواحد من القرآن معجز في موضعه؛ لأنه يمسك الكلمة التي هو فيها ليمسك بها الآية والآيات الكثيرة، وهذا هو السر في إعجاز جملته إعجازاً أبدياً، فهو أمر فوق الطبيعة الإنسانية.

ويبين الرافعي - رحمه الله - أن ما يتميز به نظم حروف القرآن عن غيره راجع إلى توازن حروفها وائتلاف مخارجها وتناسب أصواتها، ونحو هذا مما هو أصل الفصاحة، ومما لا تغني فيه استعارة ولا مجاز ولا كناية ولا غيرها، لأنه وجه من تأليف الحروف ونسق اللفظ فيها؛ وأنواع البلاغة إنما هي وجوه التأليف بين معاني الكلمات.<sup>(٢)</sup>

**ومما ينبغي الإشارة إليه في هذا الباب أن الانسجام والتألف التام بين الحروف** وُلد ثمرة أخرى، ألا وهي شدة انسياب الألفاظ على اللسان بمنتهى اليسر، وانجذاب الأذن لذلك النغم، وتمتعها به، ولو حاولنا أن نعرف سر ذلك النغم، وذلك التأخي لعجزنا أن نعرفه على وجه التحقيق، إنما نعرف تأثيره في نفوسنا إذا تهدت ووصلت إلى نوق الأسلوب، وذلك أمر يدرك لذوي الألباب، ولا يعرف سره.

فالنظم القرآني في تأليفه كله له رنين النغم، ونغمة ينبعث من كلماته وحروفه وأسلوبه، فحروفه متآخية في كلماته، لهانغم تهتز لها المشاعر، وتسكن عندها، وتطمئن النفوس، والكلمات في تأخيها في العبارات تنتج نغمًا يختص به القرآن وحده، وإن أي كلام مهما يكن علو صاحبه في البيان لا بُدَّ أن يكون متخلفًا عن القرآن، لا يمكن أن يلحق به؛ لأنه كلام الله تعالى وفوق طاقة البشر.<sup>(٣)</sup>

وعليه فإنك إذا قرأت القرآن قراءة سليمة، و تلاوة صحيحة، أدركت أنه يمتاز

(١) انظر: النبا العظيم (ص: ١٣٥).

(٢) انظر: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعي (ص: ١٤٦).

(٣) انظر: إعجاز القرآن للباقلاني (ص: ٢٦٠)، المعجزة الكبرى للقرآن (ص: ٢١٠).



## إعجاز النظم القرآني: شواهد ودلالات

عليها البشرية جمعاء، ولم يسبق إليها البلغاء والنصحاء، فهو أمر فوق الطبيعة الإنسانية، ومظهر من مظاهر تفرد القرآن الكريم واستقلاله عن كل مألوف ومعروف من طرائق العرب وتأليفهم.

واسمع إلى ما يقوله الزرقاني حول هذا المعنى حيث يقول: "ونريد بجمال القرآن اللغوي تلك الظاهرة العجيبة التي امتاز بها القرآن في رصف حروفه وترتيب كلماته ترتيباً دونه كل ترتيب ونظام تعاطاه الناس في كلامهم وبيان ذلك أنك إذا استمعت إلى حروف القرآن خارجة من مخارجها الصحيحة تشعر بلذة جديدة في رصف هذه الحروف بعضها بجانب بعض في الكلمات والآيات"<sup>(١)</sup>

**ومن النماذج التي ذكرها العلماء لبيان الإعجاز في نظم حروف القرآن ما يلي:**

أن الكلمة قد تجيء على حروف كثيرة، مما يدعو إلى ثقلها في النطق وعلى السمع، لكنها في القرآن يذهب منها كل هذا، ومثال ذلك عند قوله تعالى: بـكـ [كـ] [البقرة: ١٣٧]، وقوله: جـجـجـ [النور: ٥٥] ففي هاتين الكلمتين جاءت حروف كثيرة في كل كلمة، إلا أنها جاءت بسلاسة ويسر في المنطق، ووقع صوتي مبهر في الأذن، وهذه العذوبة جاءت من تنوع مخارج الحروف ومن نظم حركاتها<sup>(٢)</sup>

**ومما ينبغي الإشارة إليه أن النغم له علاقة ببيان المعنى، ولذا نجد أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أمر في أحاديث متعددة بالتغني بالقرآن الكريم وتزيين الصوت عند تلاوته، فقد قال عليه الصلاة والسلام: «ليس منا من لم يتغن بالقرآن»<sup>(٣)</sup>**

فلا يمكن أن يأمر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك ويحث عليه إلا لفائدة عظيمة، لا تنتهي عند تمتع السمع بالنغم القرآني، وإنما تصل إلى بيان المعنى القرآني في كثير من المواضع.<sup>(٤)</sup>

### **المطلب الثاني: الإعجاز في نظم الكلمات القرآنية.**

لا عجب أن نجد العرب في عصورهم الأولى يجهدون أنفسهم في اختيار الكلمة، وانتقائها مستخدمين كل الوسائل الممنوحة لهم من طاقات العقل، وجميل الشعور، وحسن الذائقة، لأنهم يدركون ما للكلمة من شأن، وما تحدثه من أثر إيجابي

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني (٢/ ٣١٢).

(٢) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعي (ص: ١٥٨).

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٩/ ١٥٤). كتاب: التوحيد، باب قول الله تعالى: {وأسروا قولكم أو اجهروا به، إنه عليم بذات الصدور، ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير} [المك: ٤]

(٤) أشار إلى هذا المعنى الدكتور جمال مصطفى النجار في كتابه أسرار إعجاز القرآن (ص: ١٤٢).

أو سلبى، فيقبلونها أو يردونها نتيجة معرفة وذوق. إلا أن الكلمة القرآنية قد تميزت بجمال وقعها في السمع، وانسجامها الكامل مع المعنى، والاتساق بين الصوت والمعنى فيها، واتساع دلالتها لما لا تتسع له عادة دلالات الكلمات الأخرى من المعاني والمدلولات، فهي خارجة عن المعهود من نظام جميع كلام العرب، ومباينة للمألوف من ترتيب خطابهم<sup>(١)</sup>. فإذا تأمل المتأمل وجد أن القرآن الكريم وإن كان اشتمل على أفصح ألفاظ العربية وأعذبها، إلا أنه فاق جميع كلامهم وعلا عليه علواً شامخاً، وما ذلك إلا لحسن السبك وروعة التأليف.

وبهذا يتبين لنا أن المفردة القرآنية وإن كانت معهودة واستعملها العرب قبل الإسلام وبعده، إلا أن لها خصوصية تميزها عن غيرها من المفردات الأخرى، وهذا هو القدر المعجز فيها، ولا عجب! فهو كلام الله تعالى الذي أعجز به العالمين. فكل حرف وكل كلمة في القرآن الكريم مقصودة في موضعها، ولا يمكن أن يكون غيرها أولى منها، يقول ابن عطية - رحمه الله - حول هذا المعنى: "كتاب الله لو نزعت منه لفظة ثم أدير لسان العرب في أن يوجد أحسن منها لم يوجد. ونحن تبين لنا البراعة في أكثره ويخفى علينا وجهها في مواضع لقصورنا عن مرتبة العرب يومئذ في سلامة الذوق وجودة القريحة"<sup>(٢)</sup> وما ذكره ابن عطية جدير بالتأمل، ذلك أن المفردات القرآنية لها مميزات وخصائص، فهي مفردات مختارة منتقاة.

يقول الجاحظ - رحمه الله -: "المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي، والبدوي والقروي، والمدني. وإنما الشأن في إقامة الوزن، وتخيّر اللفظ، وسهولة المخرج، وكثرة الماء، وفي صحّة الطبع وجودة السبك"<sup>(٣)</sup> وهذا هو القدر الذي جعل المفردة القرآنية متميزة عن غيرها، بشكل أبهر العرب أهل اللسان والفصاحة، وإلى هذا المعنى يشير الرافعي - رحمه الله - بقوله: "ولو تدبرت ألفاظ القرآن في نظمها، لرأيت حركاتها الصرفية واللغوية تجري في الوضع والتركيب مجرى الحروف أنفسها فيما هي له من أمر الفصاحة فيهيئ بعضها لبعض، ويساند بعضها، ولن تجدها إلا مؤتلفة مع أصوات الحروف، مُساوقة لها في النظم الموسيقي، حتى إنالحركة ربما كانت ثقيلة في نفسها لسبب من أسباب الثقل أيها

(١) انظر: المعجزة الكبرى لأبي زهرة (ص: ٣٠١)، الإعجاز في نظم القرآن (ص: ١١٣).

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية (١/ ٥٢).

(٣) الحيوان للجاحظ (٣/ ٦٧).

إعجاز النظم القرآني: شواهد ودلالات

كان، فلا تعذب ولا تُسأغ وربما كانت أوكس النصيبين في حظ الكلام من الحرف والحركة، فإذا هي استعملت في القرآن رأيت لها شأناً عجيماً، ورأيت أصوات الأحرف والحركات التي قبلها قد امتهدت لها طريقاً في اللسان، واكتفتها بضروب من النغم الموسيقي حتى إذا خرجت فيه كانت أعذب شيء وأرقه، وجاءت متمكنة في موضعها، وكانت لهذا الموضع أولى الحركات بالخفة والروعة<sup>(١)</sup>. فنجد أن الرافي يتحدث عن الدقة في سبك الكلمات القرآنية والتي تتجلى في جانبين:

الأول: دلالة الكلمة الموضعية الذي سماه "صوت النفس" أي المناسبة بين الكلمة ومدلولها.  
الثاني: الدلالة العقلية للكلمات في الجملة والذي سماه "صوت العقل" وهي دلالة الكلمة البيانية.

وعن دقة هذه الخاصة التي تميز بها النظم القرآني، وأهميتها يقول الباقلاني: "واعلم أن هذا علم شريف المحل، عظيم المكان، قليل الطلاب، ضعيف الأصحاب، ليست له عشيرة تحميه، ولا أهل عصمة تظن لما فيه، وهو أدق من السحر، وأهول من البحر، وأعجب من الشعر.

وكيف لا يكون كذلك: وأنت تحسب أن وضع "الصبح" في موضع "الفجر" يحسن في كل كلام إلا أن يكون شعراً أو سجعاً؟ وليس كذلك، فإن إحدى اللفظتين قد تنفر في موضع، وتزل عن مكان لا تزل عنه اللفظة الأخرى، بل تتمكن فيه، وتضرب بجرانها، وتراها في مظانها، وتجدها فيه غير منازعة إلى أوطانها، وتجده الأخرى - لو وضعت موضعها - في محل نفار، ومرمى شراد، ونابية عن استقرار<sup>(٢)</sup>.

ومما ينبغي الإشارة إليه أنه لو وجد في القرآن الكريم حرف أو لفظة خرجت عن المعنى البلاغي والبياني - وحاشاه - لوجد العرب غايتهم في النيل من القرآن الكريم، والطعن فيه، كيف لا ونحن نجد أن العربي يستدرك على العربي مثله ويخطؤه في بعض كلامه وقصائده، فهذه الخنساء ترد على حسّان بن ثابت في عكاظ حين أنشدتها:

لنا الجففات الغرّ يلمعن بالضحى ... وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

فقلت: ضعفت افتخارك، وأنزرته في ثمانية مواضع في بيتك هذا، قال: وكيف؟

(١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافي (ص: ١٥٦)

(٢) انظر: إعجاز القرآن للباقلاني (ص: ١٨٤).



























إعجاز النظم القرآني: شواهد ودلالات  
٤- أن إعجاز النظم القرآني من أعظم أوجه الإعجاز التي يمكن الرد بها على الطاعنين في القرآن الكريم.